

8975
أضواء على الحركات الهدامة

الانتشار والانتشار
قون

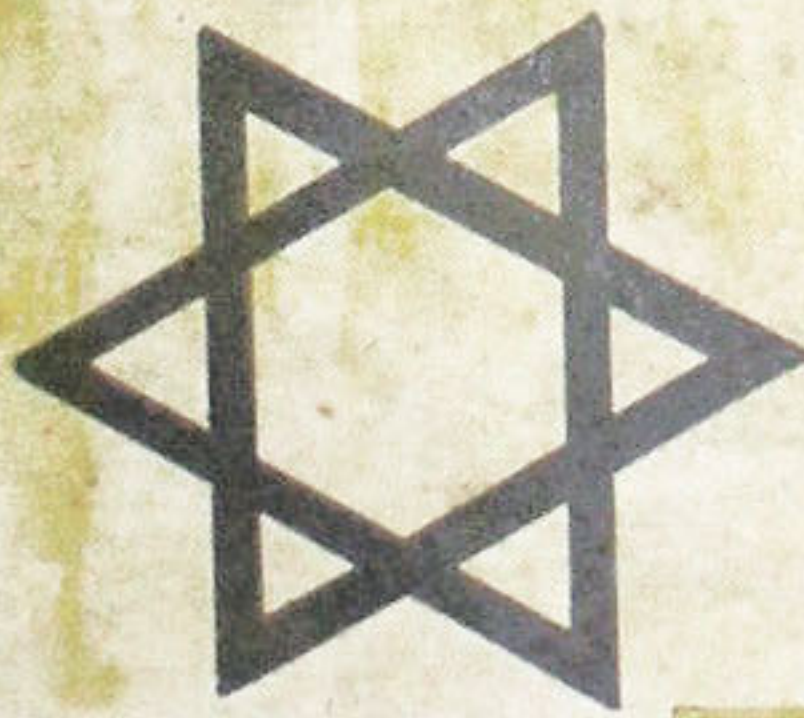
مالهم وما عليهم

للدكتور مصطفى السباعي

رئيس قسم الفقه الإسلامي بجامعة دمشق



الماسونية



الصهيونية



الشيوعية

الاستعمار الإباحية الوجودية البريانية
الإلحاد العلمانية القاديانية

٤



الطبعة الاولى
١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م

أضواء على الحركات الهدامة

الانتشراق والمُتَشَرِّقُونَ

مَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ



للدكتور مصطفى السباعي

رئيس قسم الفقه الإسلامي بجامعة دمشق

الناشر

مكتبة دار البيان

ص.ب ٢٠١٧ - الكويت

1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-12-13-14-15-16-17-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-30-31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-53-54-55-56-57-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-78-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-98-99-100

مقدمة

بقلم أحد تلامذة السباعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الحق
والهدى محمد وعلى آله وصحبه الميامين وعلى من دعا بدعوته إلى
يوم الدين ..

وبعد ، من سوء حظ البشرية في جميع عصورها أن يكون
أعداء الحق والخير أكثر عدداً وعدة من أنصارهما ، لغلبة الهوى
وتحكّم الشهوات في نفوس البشر .. ولعل الحكمة في ذلك أن
الحق قوة بذاته فلا يضره قلة الأنصار .. أما الباطل فضعيف
بطبيعته ، لذلك كان أحوج إلى كثرة العدد والعدة ليستكثر
بهما على الحق ... ثم هو بعد ذلك ضعيف ... ومن هذا كانت
طبيعة الحق الصدق والصراحة ، وكانت طبيعة الباطل الكيد
والمراوغة .. والعاقبة للحق وجنده دائماً .

من هذا لا نرى غرابة في كثرة أعداء الاسلام وتعدّد فئاتهم

وتنوع أساليبهم وأفانينهم في الكيد لحقائقه ومحاولة طمس معالمها بتشويه تاريخه وسيرة رجاله وعظائمه بدافع الحقد والتعصب والهوى المتحكم في نفوس أعداء الاسلام من صليبيين وصهاينة وماديين فجرة ...

ولعل من أخبت أعداء الاسلام في العصر الحديث فئة من الدجاجلة الموتورين ممن أكل الحقد والتعصب أفئدتهم ، انتحلوا صفات العلماء والباحثين وزعموا لأنفسهم العلم والمعرفة وهم أبعد الناس عن حقيقة العلم وعن صفات وأخلاق العلماء .. أولئك هم المستشرقون بغالبيتهم العظمى .. الذين انبروا لحرب الاسلام تحت ستار العلم والدراسات الاستشرافية .. ويكفي أن نعرف أن معظم المستشرقين هم من رجال الكهنوت في أوروبا أو من موظفي الدوائر الاستعمارية أو المؤسسات الصهيونية لنكتشف بسهولة طبيعة دراساتهم وحقيقة أهدافهم وأساليبهم ...

وإنه لمن المؤسف حقاً أن عدداً غير قليل من أبناء المسلمين من كُتّاب ومؤرخين وعلماء ممن تلقوا العلم في ديار الغرب وقلّ رصيدهم من الثقافة والعلوم الاسلامية من مصادرها الأصلية ومنابعها الصافية .. قد تأثروا بدراسات المستشرقين ، وخدعتهم أساليبهم عن حقيقتهم ، فأخذوا يرددون شبهات المستشرقين ويروجون لها على أنها حقائق علمية لا تقبل الجدل .. دون أي تمحيص لأقوالهم أو بذل محاولة لعرض هذه الدراسات على المصادر الأصلية ، ولذلك سرى السم بالدم ، وانطلت

الأباطيل على من قصرت همته عن تتبع الحق ...

وفي هذه الرسالة نقدم موجزاً لدراسة قيمة هامة حول الاستشراق والمستشرقين للأستاذ الكبير والعلامة المجاهد الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى ورضي عنه وأرضاه. كتب أبحاثاً منها في مجلته « حضارة الاسلام » وبعضها في كتابه « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » ، كشف فيها القناع عن وجوه المستشرقين الصفراء وفضح أهدافهم وأساليبهم وهتك أستارهم بأسلوب علمي رصين ، ومنطق قوي سديد ، وغيره مؤمنة واعية ... فاستطاع رحمه الله بجهده العلمي وغيرته الصادقة النادرة أن يمسك بالمجرمين في حالة التلبس بالجريمة .. فساقهم إلى قفص الاتهام مشيراً إليهم بإصبع قوية جريئة .. وناقشهم الحساب .. بالحجة والمنطق والدليل .. فانكشف زيفهم .. وتعرّت حقيقتهم .. وتبدّت عوراتهم مخزية زرية .. وظهرت النوايا الخبيثة والأحقاد الموروثة .. وظهر الحق وزهق الباطل .. إن الباطل كان زهوقاً ..

ولقد كان أستاذنا السباعي رحمه الله تعالى حريصاً على أن يستكمل البحث في موضوع الاستشراق والمستشرقين ليضع بين أيدي طلاب العلم والمعرفة والحقيقة من مسلمين خاصة وغير مسلمين عامة دراسة وافية .. يفني بها هذا الموضوع الخطير حقه من البحث والشواهد والأدلة .. ولكن ساعة الأجل حالت بينه وبين كثير من مشاريعه العلمية التي كان عازماً على متابعتها.

فرحم الله أستاذنا الدكتور السباعي رحمة واسعة وأجزل
ثوابه ، وجعل روحه في عليين مع سيد المرسلين محمد ﷺ وعلى
آله وصحابته ومع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك
رفيقاً .. والله أكبر والله الحمد .

بسام

ع

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاستشراق والمستشرقون بحث لم يعن أحد من الكاتبين بأمرهما عناية علمية واسعة تبحث عن تاريخ الاستشراق وأهدافه ومرامييه وحسناته وسيئاته ، وعن المستشرقين وطوائفهم وأعمالهم وما أصابوا وما أخطأوا فيه من أبحاث ومؤلفات ، وكل ما كتب في هذا الموضوع لا يخلو عن أن يكون تمجيداً لهم مثل كتاب « المستشرقون » للأستاذ نجيب العقيقي ، أو أن يكون كشفاً موجزاً عن أهدافهم التبشيرية والاستعمارية ، وأهم بحث في هذا الشأن محاضرة قيمة للأستاذ الدكتور محمد البهي المدير العام للثقافة الإسلامية في الجامع الأزهر ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى الأزهرية .

وقد أفرط منا أناس في الثقة بهم والاعتماد عليهم والثناء المطلق على جهودهم ويمثل هؤلاء المعجبين بهم الدكتور طه حسين من أوائل تلاميذ المستشرقين في تاريخنا الأدبي المعاصر ، حيث يقول في مقدمة كتابه « الأدب الجاهلي » :

« وكيف تتصور أستاذاً للأدب العربي لا يلم ولا ينتظر أن يلم بما انتهى إليه الفرنج (المستشرقون) من النتائج العلمية

المختلفة حين درسوا تاريخ الشرق وأدبه ولغاته المختلفة ، وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس ، ولا بد من التماسه عندهم حتى يتاح لنا نحن أن ننهض على أقدامنا ونطير بأجنحتنا ونسترد ما غلبنا عليه هؤلاء الناس من علومنا وتاريخنا وآدابنا .

ولا ريب في أن هذا الكلام يمثل دوراً من أدوار العبودية الفكرية التي مررنا بها في مطلع نهضتنا العلمية والفكرية الحديثة ، وهذه العبودية تتمثل في كتاب الدكتور طه حسين نفسه ، الأدب الجاهلي ، الذي كان ترديداً مخلصاً لآراء غلاة المستشرقين المتعصبين ضد العرب والاسلام أمثال « مرجليوث » الذي نقل آراءه كلها في كتابه « الأدب الجاهلي » ونسبها إلى نفسه وليس له في الكتاب رأي جديد نتيجة بحث علمي قام به أو تعب في سبيله .

ويمثل هؤلاء أيضاً الاستاذ أحمد أمين في كتابيه « فجر الاسلام » و « ضحى الاسلام » وقد بينت ما في فصل « الحديث » من كتاب « فجر الاسلام » من سرقة لآراء المستشرقين دون أن ينسبها إليهم في كتابي الذي صدر حديثاً « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » .

ومن هؤلاء أيضاً الدكتور علي حسن عبد القادر في كتابه « نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي » وهو ترجمة حرفية لما كتبه جولدتسيهر في كتابيه « دراسات اسلامية » و « العقيدة

والشريعة في الاسلام» وكذلك كان كسابقه غير أمين حين نسب هذه الآراء إلى نفسه ولم ينسبها إلى أساتذته المستشرقين .

والدكتور علي حسن عبد القادر يشغل الآن منصب - مدير المركز الثقافي الاسلامي بلندن على ما بلغني - ولقد كانت لي معه قصة أجد من الخير ذكرها هنا لما فيها من العبرة . . . وهي التي كانت سبباً في تأليفي لكتاب « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » . وقبل أن أروي قصتي معه أحب أن أعترف بفضل ودمائة خلقه واعترافه بالحق حين يظهر له . .

لما كنا طلاباً في السنة الثانية والثالثة في قسم تخصص المادة في الفقه والأصول وتاريخ التشريع « العالمية من درجة أستاذ » في كلية الشريعة ، وكان ذلك عام ١٩٣٩ ، عينت مشيخة الأزهر في عهد الشيخ المراغي رحمه الله ، الدكتور علي حسن عبد القادر أستاذاً لنا يدرس تاريخ التشريع الاسلامي ، وكان قد أنهى دراسته في ألمانيا حديثاً ، وهو مجاز من كلية أصول الدين في قسم التاريخ ، ومكث في ألمانيا أربع سنوات حتى أخذ شهادة الدكتوراه في قسم الفلسفة على ما أذكر .

كان أول درس تلقيناه عنه أن بدأه بمثل هذا الكلام : إني سأدرس لكم تاريخ التشريع الاسلامي ، ولكن على طريقة علمية لا عهد للأزهر بها ، واني أعترف لكم بأني تعلمت في الأزهر قرابة أربعة عشر عاماً فلم أفهم الاسلام . ولكنني فهمت الاسلام

حين دراستي في ألمانيا ، فعجبنا - نحن الطلاب - من مثل هذا القول وقلنا فيما بيننا : لنستمع إلى استاذنا لعله حقاً قد علم شيئاً جديراً بأن نعلمه عن الاسلام مما لا عهد للأزهر به ، وابتدأ درسه عن تاريخ السنة النبوية ترجمة حرفية عن كتاب ضخيم بين يديه ، علمنا فيما بعد أنه كتاب جولد تسيهر « دراسات إسلامية » وكان استاذنا ينقل عبارته ويتبناها على أنها حقيقة علمية ، واستمر في دروسه نناقشه فيما يبدو لنا - نحن الطلاب - إنه غير صحيح ، فكان يابى أن يخالف جولد تسيهر بشيء مما ورد في هذا الكتاب ، حتى إذا وصل في دروسه إلى الحديث عن الزهري واتهامه بوضع الاحاديث للأمويين ناقشته في ذلك - بحسب معلوماتي المجهلة عن الزهري من أنه إمام في السنة ، موضع ثقة العلماء جميعاً - فلم يرجع عن رأيه ، مما حملني على أن أطلب منه ترجمة ما قاله جولد تسيهر عن الزهري تماماً ، فترجمه لي في ورقتين بخط يده ، وبدأت أرجع إلى المكتبات العامة للتحقيق في سيرة الزهري وفي حقيقة ما اتهمه به هذا المستشرق ، ولم أترك كتاباً مخطوطاً في مكتبة الأزهر وفي دار الكتب المصرية من كتب التراجم إلا رجعت إليها ونقلت منها ما يتعلق بالزهري ، واستغرق ذلك ثلاثة أشهر كنت أشتغل فيها منذ مغادرتي كلية الشريعة بعد الدرس حتى أواخر الليل ، فلما تجمعت لدي المعلومات الصحيحة ، قلت لأستاذنا الدكتور عبد القادر : لقد تبين لي أن جولد تسيهر قد حرف نصوص

الأقدمين فيما يتعلق بالزهري ، فأجابني بقوله : لا يمكن هذا ،
لأن المستشرقين - وخاصة جولد تسيهر - قوم علماء منصفون
لا يحرفون النصوص ولا الحقائق !..

عندئذ أزمعت على إلقاء محاضرة في الموضوع في دار جمعية
الهداية الإسلامية - قرب سراي عابدين قديماً - وأرسلت إدارة
الجمعية بطاقات الدعوة لهذه المحاضرة إلى علماء الأزهر وطلابه ،
فاجتمع يومئذ عدد كبير منهم ما بين أساتذة وطلاب ، ومن
بينهم أستاذنا الدكتور عبد القادر - الذي رجوته حضور هذه
المحاضرة ، وإبداء رأيه فيما أقول ، ففضل مشكوراً بالحضور
وأصغى إلى المحاضرة كلها التي كانت تدور حول ما كتبه جولد
تسيهر عن الامام الزهري ، وختمتها بقولي : هذا هو ما أراه في
هذا الموضوع ، وهذا هو رأي علمائنا في الزهري فإن كان
لأستاذنا الدكتور عبد القادر مناقشة حول هذا الموضوع إن لم
لم يقتنع بما ذكرته ، فأرجو أن يتفضل بالكلام ، فنهض الدكتور
حفظه الله وقال بصوت سمعه الحاضرون جميعاً : إني أعترف بأني
لم أكن أعرف من هو الزهري حتى عرفتُه الآن . وليس لي
اعتراض على كل ما ذكرته ، وانفض الاجتماع ، ثم دخلنا إلى
غرفة الأستاذ السيد الخضر حسين رحمه الله رئيس الجمعية - الأستاذ
الأكبر للجامع الأزهر فيما بعد - فكان مما قاله لي أستاذنا الدكتور
حفظه الله - وكان ذلك بحضور السيد الخضر حسين رحمه الله :-
إن بحثك هذا فتح جديد في بحوث المستشرقين ، وأرجو أن

تعطيني نسخة من هذه المحاضرة لأبعث بها إلى المجلات العلمية التي
تعنى ببحوث المستشرقين في ألمانيا، وإني أعتقد أنها ستحدث دويماً
في أوساط المستشرقين ، فشكرته على ذلك واعتبرته تشجيع
أستاذ لتلميذه .

وبعد أيام دعاني لزيارته في البيت ، فكان مما اتفقنا عليه
أن نتفرغ معاً في الصيف لترجمة كتاب جولد تسيهر والرد عليه ،
ولكنني اعتقلت بعد ذلك من قبل السلطات العسكرية الانجليزية
في القاهرة في بدء قيام الحرب العالمية الثانية وأقصيت عنها
سبع سنوات ، وفي خلال هذه الفترة أصدر الدكتور عبد القادر
كتابه « نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي » ولم يتح لي
الاطلاع عليه إلا بعد ثلاث سنوات حين أفرج عني في أواسط
الحرب الأخيرة .

هذه هي قصتي مع الدكتور علي حسن عبد القادر ، وأظن أنه
عدل عن رأيه السابق في المستشرقين وخاصة جولد تسيهر ،
وبدّل رأيه في أمانته وإخلاصه للحق وعدم تحريفه
للنصوص .

ويقابل هذا الاتجاه المفرط في الثقة ببحوث المستشرقين
اتجاه يحمل على المستشرقين واتجاهاتهم المفرضة المفرطة في
التعصب ، ويمثله قول أحمد فارس الشدياق في كتابه « ذيل
الفارياق » :

إن هؤلاء الاساتيد (المستشرقين) لم يأخذوا العلم عن
شيوخه ، وإنما تطفلوا عليه تطفلاً ، وتوثبوا فيه توثباً ، ومن
تخرج فيه بشيء فإنما تخرج على القسس ، ثم أدخل رأسه في
أضغاث أحلام ، أو أدخل أضغاث أحلام في رأسه وتوهم أنه
يعرف شيئاً وهو يجهله ، وكل منهم إذا درس في إحدى لغات
الشرق أو ترجم شيئاً منها تراه يخبط فيها خبط عشواء ، فما
اشتبه عليه منها رقعته من عنده بما شاء ، وما كان بين الشبهة
واليقين حدس فيه وخمّن فرجح منه المرجوح ، وفضل
المفضول .

وفي الحق أن كلا من الثناء المطلق والتحامل المطلق يتنافى
مع الحقيقة التاريخية التي سجلها هؤلاء المستشرقون فيما قاموا به
من أعمال ، وما تطرقوا إليه من أبحاث ، ونحن من قوم يأمرهم
دينهم بالعدل حق مع أعدائهم « ولا يجرمناكم شأن قوم على
أن لا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى » .

تاريخ الاستشراق :

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية
ولا في أي وقت كان ذلك ، ولكن المؤكد أن بعض الرهبان
الغربيين قصدوا الأندلس في إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا في
مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتعلموا
على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب

والرياضيات ..

ومن أوائل هؤلاء الرهبان ، الراهب الفرنسي « جربرت »
Jerbert الذي انتخب باباً لكنيسة روما عام ٩٩٩ م بعد تعلمه
في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده ، و « بطرس المحترم
١٠٩٢ - ١١٥٦ Pierrele Aénéré » و « جيرار دي
كريمون ١١١٤ - ١١٨٧ Gérard de Grémone » .

وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب
ومؤلفات أشهر علماءهم ، ثم أسست المعاهد للدراسات العربية
أمثال مدرسة « بادوي » العربية ، وأخذت الأديرة والمدارس
العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية - وهي لغة
العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ - واستمرت الجامعات الغربية
تعتمد على كتب العرب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة
قراءة ستة قرون .

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام
واللغة العربية وترجموا القرآن وبعض الكتب العربية العلمية
والأدبية حتى جاء القرن الثامن عشر - وهو العصر الذي
بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته
فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق ويصدرون
لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية ، ويغيرون على المخطوطات
العربية في البلاد العربية والإسلامية فيشترونها من أصحابها
الجهلة ، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت في نهاية

الفوضى ، وينقلونها الى بلادهم ومكتباتهم ، وإذا بأعداد هائلة من نوادر المخطوطات العربية تنتقل إلى مكتبات أوروبا ، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلداً وما زال هذا العدد يتزايد حتى اليوم .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣ ، وتتالي عقد المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضاراته وما تزال تعقد حتى هذه الأيام .

ميدان الاستشراق :

بدأ الاستشراق كما رأينا بدراسة اللغة العربية والاسلام ، وانتهى - بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق - إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضاراته وجغرافيته وتقاليده وأشهر لغاته ، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم ، نظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية كما سنذكره فيما بعد .

دوافع الاستشراق :

١ - الدافع الديني : لا نحتاج إلى استنتاج وجهه في البحث لنتعرف إلى الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين وهو الدافع

الديني . فقد بدأ بالرهبان كما رأينا - واستمر كذلك حتى عصرنا
الحاضر كما سنرى - وهؤلاء كان يهتم أن يطعنوا في الاسلام
ويشوّهوا محاسنه ويحرّفوا حقائقه ليثبتوا لجهالهم التي تخضع
لزعامتهم الدينية أن الاسلام - وقد كان يومئذ الخضم الوحيد للمسيحية
في نظر الغربيين - دين لا يستحق الانتشار ، وأن المسلمين قوم
همج لصوص وسفاكو دماء ، يحثهم دينهم على المذات الجسدية
ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقى . ثم اشتدت حاجتهم إلى
هذا الهجوم في العصر الحاضر بعد أن رأوا الحضارة الحديثة قد
زعزعت أسس العقيدة عند الغربيين وأخذت تشككهم بكل
التعاليم التي كانوا يتلقونها عن رجال الدين عندهم فيما مضى ، فلم
يجدوا خيراً من تشديد الهجوم على الاسلام لصرف أنظار
الغربيين عن نقد ما عندهم من عقيدة وكتب مقدسة ، وهم
يعلمون ما تركته الفتوحات الاسلامية الاولى ثم الحروب الصليبية
ثم الفتوحات العثمانية في اوروبا بعد ذلك في نفوس الغربيين من
خوف من قوة الاسلام وكره لأهله ، فاستغلوا هذا الجو النفسي
وازدادوا نشاطاً في الدراسات الاسلامية .

وهناك الهدف التبشيري الذي لم يتناسوه في دراساتهم
العلمية وهم قبل كل شيء رجال دين ، فأخذوا يهدفون إلى تشويه
سمعة الاسلام في نفوس رواد ثقافتهم من المسلمين لإدخال الوهن
إلى العقيدة الاسلامية والتشكيك في التراث الاسلامي والحضارة
الاسلامية وكل ما يتصل بالاسلام من علم وأدب وتراث .

٢ - الدافع الاستعماري : لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين وهي في ظاهرها حروب دينية وفي حقيقتها حروب استعمارية لم ييأس الغربيون من العودة الى احتلال بلاد العرب فبلاد الاسلام ، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها ، وإلى مواطن الضعف فيغتتموه ، ولما تم لهم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية كان من دوافع تشجيع الاستشراق إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا ، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما في أيدينا من تراث ، وما عندنا من عقيدة وقيم انسانية ، فنفقد الثقة بأنفسنا ، ونرتمي في أحضان الغرب نستجدي منه المقاييس الاخلاقية والمبادئ العقائدية ، وبذلك يتم لهم ما يريدون من خضوعنا لحضارتهم وثقافتهم خضوعاً لا تقوم لنا من بعده قائمة .

أنظر إليهم كيف يشجعون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفى عليها الزمن ، واندثرت منذ حمل العرب رسالة الاسلام ، فتوحدت لغتهم وعقيدتهم وبلادهم ، وحملوا هذه الرسالة إلى العالم فأقاموا بينهم وبين الشعوب روابط انسانية وتاريخية وثقافية ازدادوا بها قوة وازدادت الشعوب بها رفعة وهداية ، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر ، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين ، والاشورية في العراق وهكذا ،

ليتسنى لهم تشتيت شملنا كأمة واحدة، وليعوقوا قوة الاندفاع
التحررية عن عملها في قوتنا وتحررنا وسيادتنا على أرضنا وثرواتنا
وعودتنا من جديد إلى قيادة ركب الحضارة، والتقاءنا مع
خوتنا في العقيدة والمثل العليا والتاريخ المشترك والمصالح
المشتركة .

٤

٣ - الدافع التجاري : ومن الدوافع التي كان لها أثرها في
تنشيط الاستشراق ، رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج
بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان ولقتل
صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف
بلاد العرب والمسلمين .

٤ - الدافع السياسي : وهنالك دافع آخر أخذ يتجلى في
عصرنا الحاضر بعد استقلال أكثر الدول العربية والاسلامية ،
ففي كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى هذه الدول
سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من
الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة فيتعرف إلى أفكارهم ،
ويبحث فيهم من الاتجاهات السياسية ما تريده دولته ، وكثيراً
ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء
الغربيون - ولا يزالون في بعض البلاد العربية والاسلامية -
يبثون الدسائس للتفرقة بين الدول العربية بعضها مع بعض ،
وبين الدول العربية والدول الاسلامية ، بحجة توجيه النصيح

وإسداء المعونة بعد أن درسوا تماماً نفسية كثيرين من المسؤولين في تلك البلاد ، وعرفوا نواحي الضعف في سياستهم العامة ، كما عرفوا الاتجاهات الشعبية الخطيرة على مصالحهم واستعمارهم .

هـ - الدافع العلمي : ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الامم وأديانها وثقافتها ولغاتها ، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الاسلام وتراثه ، لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف ، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم من أبحاث الجهرة الغالبة من المستشرقين ، بل ان منهم من امتدى الى الاسلام وآمن برسالته . على أن هؤلاء لا يوجدون الا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف الى الاستشراق بأمانة واخلاص ، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى ، لا تلقى رواجاً ، لا عند رجال الدين ، ولا عند رجال السياسة ، ولا عند عامة الباحثين ، ومن ثمة فهي لا تدر عليهم ربحاً ولا مالاً ، ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين .

اهداف الاستشراق ووسائله:

تنقسم أهداف المستشرقين في جملتهم من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام :

أ - هدف علمي مشبوه ، ويهدف الى :

١ - التشكيك بصحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الالهي ، فجمهورهم ينكرون أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله جل شأنه ، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحياناً ، وبخاصة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فمن المستشرقين من يرجع ذلك الى « صرع » كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حيناً بعد حين ، ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي ، وهكذا ، كأن الله لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي ، ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة ، وهم كانوا أقل شأناً من محمد صلى الله عليه وسلم في التاريخ والتأثير والمبادئ التي نادى بها ، كان إنكارهم لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم تعنتاً مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسس ومبشرين .

ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتاباً منزلاً عليه من عند الله عز وجل ، وحين يفحهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الامم الماضية مما يستحيل صدوره عن أمي مثل محمد صلى الله عليه وسلم ، يزعمون ما زعمه المشركون الجاهليون في

عهد الرسول من أنه استمد هذه المعلومات من أناس كانوا يخبرونه بها ، ويتخبطون في ذلك تخبطاً عجيباً ، وحين يفحهم ما جاء في القرآن من حقائق علمية لم تعرف وتكتشف إلا في هذا العصر ، يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فيقعون في تخبط أشد غرابة من سابقه .

٢ .. ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول و سماوية القرآن ، إنكارهم أن يكون الاسلام ديناً من عند الله وإنما هو ملفق - عندهم - من الديانتين اليهودية والمسيحية ، وليس لهم في ذلك مستند يؤيده البحث العلمي وإنما هي ادعاءات تستند على بعض نقاط الالتقاء بين الاسلام والدينين السابقين .

ويلاحظ أن المستشرقين اليهود - أمثال جولد تسيهر وشاخت - هم أشد حرصاً على ادعاء استمداد الاسلام من اليهودية وتأثيرها فيه ، أما المستشرقون المسيحيون فيجرون وراءهم في هذه الدعوى إذ ليس في المسيحية تشريع يستطيعون أن يزعموا تأثر الاسلام به وأخذه منه ، وإنما فيه مبادئ اخلاقية زعموا أنها أثرت في الاسلام ، ودخلت عليه منها ، كأن المفروض في الديانات الإلهية أن تتعارض مبادئها الاخلاقية ، وكان الذي أوحى بدين هو غير الذي أوحى بدين آخر ، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

٣ - التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده

علماءنا المحققون، ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس ، متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماءنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره ، مستندين الى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري ، مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم ، وقد ناقشتهم في ذلك نقاشاً علمياً في كتابي : « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » الذي صدر حديثاً .

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه ، ما رأوه في الحديث النبوي الذي اعتمده علماءنا من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة وهم لا يعتقدون بنبوة الرسول ، فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر كله عن محمد الأمي بل هو عمل المسلمين خلال القرون الثلاثة الأولى ، فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ، ومنها ينبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم .

٤ - التشكيك بقيمة الفقه الاسلامي الذاتية ، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور ، لقد سقط في أيديهم حين اطلعهم على عظمتهم وهم لا يؤمنون بنبوة الرسول ، فلم يجدوا بداً من الزعم بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني ، أي أنه مستمد منهم - الغربيين - وقد بين علماءنا الباحثون تهافت هذه الدعوى ، وفيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد بلاهاي من أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته

وليس مستمداً من أي فقه آخر ، ما يفهم المتعنتين منهم ،
ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلاً .
هـ - التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور
العلمي ، لنظل عالمة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضاهم
وسلطانهم الأدبي علينا ، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي ،
وإظهاره مجدباً فقيراً لنتجه إلى آدابهم ، وذلك هو الاستعمار
الأدبي الذي يبغونه ❀ الاستعمار العسكري الذي يرتكبونه ..
تلك هي الاهداف العلمية التي يعمل لها أكثرهم أو جمهورتهم
الساحقة .

ب - الاهداف الدينية والسياسية ،

وتتلخص فيما يلي :

- ١ - تشكيك المسلمين بنبيهم وقرآَنهم وشريعتهم وفقهم ،
ففي ذلك هدفان ديني واستعماري .
- ٢ - تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري ، يدعون أن
الحضارة الاسلامية منقولة عن حضارة الرومان ، ولم يكن
العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وآثارها ، لم يكن
لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري ، وكان في حضارتهم كل
النقائص ، وإذا تحدثوا بشيء عن حسناتها - وقليلاً ما يفعلون -
يذكرونها على مضض مع انتقاص كبير .
- ٣ - إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم ، وبث روح الشك في كل
ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا ، ليسهل على الاستعمار

تشديد وطأته عليهم ، ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم ، فيكونوا
عبيداً لها ، يجرهم حبها إلى حبهم أو اضعاف روح المقاومة في
نفوسهم .

٤ - إضعاف روح الإخاء الاسلامي بين المسلمين في مختلف
أقطارهم عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الاسلام ،
وإثارة الخلافات والنعرات بين شعوبهم ، وكذلك يفعلون في
البلاد العربية ، يجهدون لمنع اجتماع شملها ووحدة كلمتها بكل
ما في أذهانهم من قدرة على تحريف الحقائق ، وتصيّد الحوادث
الفردية في التاريخ ليصنعوا منها تاريخاً جديداً يدعو إلى ما
يريدون من منع الوحدة بين البلاد العربية والتفاهم على الحق
والخير بين جماهيرها .

ج - أهداف علمية خالصة لا يقصد منها الا البحث والتحصيل ،
ودراسة التراث العربي والاسلامي دراسة تجلو لهم بعض الحقائق
الخافية عنهم ، وهذا الصنف قليل عدده جداً ، وهم مع اخلاصهم
في البحث والدراسة لا يسهون من الاخطاء والاستنتاجات البعيدة
عن الحق ، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وإما لجهلهم
بالأجواء الاسلامية التاريخية على حقيقتها ، فيحبون أن يتصوروها
كما يتصورون مجتمعاتهم ، فاسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية
التي تفرق بين الاجواء التاريخية التي يدرسونها ، وبين الاجواء
الحاضرة التي يعيشونها .

وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاثة في أهدافها ، وأقلها خطراً ، إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم ، ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها ، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع ، ولكنهم يلقون عنقاً من أصحاب الهدفين السابقين ، إذ سرعان ما يتهمونهم بالانحراف عن النهج العلمي ، أو الانسياق وراء العاطفة ، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم ، كما فعلوا مع « توماس أرنولد » حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم « الدعوة إلى الاسلام » فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين ، على عكس مخالفيهم معهم ، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الاسلام ، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون وخاصة المبشرين منهم ، بأن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين ، مع أنه لم يذكر فيه حادثة الا أرجعها إلى مصدرها .

ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الاسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين ، كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان « دينيه » الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم « ناصر الدين دينيه » وألّف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ ، وله كتاب « أشعة خاصة بنور الاسلام » بيّن فيه تحامل قومه على الاسلام ورسوله ، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا ، ونقل

جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها .

وسائل المستشرقين لتحقيق اهدافهم:

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبحث آرائهم إلا سلكوها ، ومنها :
٤

١ - تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الاسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه ، وفي اكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو ابتسارها وفي فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها .

٢ - إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الاسلام وبلاده وشعوبه .

٣ - ارساليات التبشير إلى العالم الاسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجيء والميآتم ، ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية وأشباهاها .

٤ - إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ، ومن المؤسف أن أشدهم خطراً وعداءً للاسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والاسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراشي ولاهور وعليكرة وغيرها ليتحدثوا عن الاسلام ..

٥ - مقالات في الصحف المحلية عندهم ، وقد استطاعوا شراء

عدد من الصحف المحلية في بلادنا وقد جاء في كتاب « التبشير والاستعمار » للدكتورين عمر فروخ ومصطفى الخالدي وهو من أهم الوثائق التاريخية عن نشاط المستشرقين والمبشرين لخدمة الاستعمار^(١) ما يلي :

« يعلن المبشرون انهم استغلوا الصحافة المصرية على الاخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد اسلامي آخر ، لقد ظهرت مقالات كثيرة في عدد من الصحف المصرية ، إما مأجورة في أكثر الاحيان ، أو بلا اجرة في أحوال نادرة .

٦ - عقد المؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة ، ولبحوث عامة في الظاهر ، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣ حتى الآن .

٧ - إنشاء الموسوعة « دائرة المعارف » الاسلامية ، وقد أصدروها بعدة لغات ، وبدأوا بإصدار طبعة جديدة منها ، وقد اطلعت على الأجزاء الأولى للطبعة الثانية من سكرتير الموسوعة حين زرت أكسفورد عام ١٩٥٦ ، وقد بدىء بترجمة الطبعة الأولى إلى اللغة العربية ، وصدر منها حتى الآن ثلاثة عشر مجلداً . وفي هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم

١ - هذا الكتاب يجب على كل مثقف مسلم قراءته وقد طبع مرتين في بيروت وحاول بعض اذئاب الاستعمار في العهد الماضي منع تداوله في سورية العربية المسلحة .

عداءٍ للإسلام ، قد دس السم في الدسم ، وملئت بالأباطيل عن
الإسلام وما يتعلق به . ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من
المثقفين عندنا بحيث يعتبرونها حجة فيما تتكلم به ، وهذا من
مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية وعقدة النقص عند هؤلاء
المثقفين .

٤

هذه كلمة موجزة عن المستشرقين وأصنافهم وأهدافهم
ووسائلهم ، ونرى من إتمام الفائدة للقراء أن نذيلها بذكر
أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم ، وبأهم المجلات التي
يصدرها المستشرقون في الدول الاستعمارية الكبرى (١) .

أهم المجلات التي يصدرونها:

أ - في عام ١٧٨٧ أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين
ألقوها بأخرى في عام ١٨٢٠ ، ثم أصدروا « المجلة الآسيوية » .

ب - وفي لندن تآلفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية
في عام ١٨٢٣ ، وقبل الملك أن يكون ولي أمرها ، وأصدرت
« مجلة الجمعية الآسيوية الملكية » .

١ - هذا التثبيت بأسماء مجلات المستشرقين وأسماء مشاهيرهم وكتبهم
مأخوذة من محاضرة للدكتور محمد البهي بعنوان : المبشرون والمستشرقون
وموقفهم من الإسلام .

ج - وفي عام ١٨٤٢ أنشأ الامريكيون جمعية ومجلة باسم « الجمعية الشرقية الامريكية » وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الالمان مجلة خاصة بهم ، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وايطاليا وروسيا .

د - ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الامريكيون في هذا القرن « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » وكانت تصدر في مدينة جامبير Gambier بولاية Ohio ولها فروع في لندن وباريس وليبزج ، وتورونتو في كندا ، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن ، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية ، وخاصة في باب الكتب .

هـ - ويصدر المستشرقون الامريكيون في الوقت الحاضر ، « مجلة شؤون الشرق الاوسط » . وكذلك « مجلة الشرق الاوسط » . وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك .

و - وأخطر المجلات التي يصدرها المستشرقون الامريكيون في الوقت الحاضر هي مجلة « العالم الاسلامي » The Muslim World أنشأها صمويل زويمر Zweimer في سنة ١٩١١ ، وتصدر الآن من هارتفورد Hartford بأمريكا ورئيس تحريرها كنيث كراج K. Cragg وطابع هذه المجلة

تبشيري سافر .

ز - وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة « العالم الاسلامي » في روحها واتجاهها العدائي التبشيري واسمها أيضاً .. Le Monde Musulman

اسماء أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم :

أ.ج . أربري : A. J. Arberry انجليزي معروف بالتعصب ضد الاسلام والمسلمين ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية » والآن أستاذ بجامعة كمبردج . ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا في الدراسات الاسلامية واللغوية في إنجلترا . ومن كتبه :

١ - الاسلام اليوم « صدر في عام ١٩٤٣ » .

٢ - « مقدمة لتاريخ التصوف » صدر في عام ١٩٤٧ .

٣ - « التصوف » صدر في عام ١٩٥٠ .

٤ - « ترجمة القرآن » صدر في عام ١٩٥٠ .

الفردجيوم : A. Geom انجليزي معاصر، اشتهر بالتعصب ضد الاسلام، حاضر في جامعات إنجلترا وأمريكا . وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية . ومن كتبه « الاسلام »، ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية في بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية .

بارون كارا دي فو : Baron Carra de Vaux فرنسي

متعصب جداً ضد الاسلام والمسلمين. ساهم بنصيب بارز في تحرير
« دائرة المعارف الاسلامية » .

هـ.ا.ر. جب H. A. R. Gibb أكبر مستشرق انجلترا

المعاصرين . كان عضواً بالمجمع اللغوي في مصر والآن أستاذ
الدراسات الاسلامية والعربية في جامعة هارفرد الامريكية .
من كبار محرري وناشري « دائرة المعارف الاسلامية » . له
كتابات كثيرة فيها عمق وخطورة وهذا هو سر خطورته .
ومن كتبه :

١ - « طريق الاسلام » ألّفه بالاشتراك مع آخرين وترجم
من الانجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور .

٢ - « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » . صدر في عام
١٩٤٧ وأعيد طبعه وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور .

٣ - « المذهب المحمدي » صدر في عام ١٩٤٧ وأعيد
طبعه

٤ - « الاسلام والمجتمع الغربي » يصدر في أجزاء ، وقد
اشترك معه آخرون في التأليف . وله مقالات أخرى متفرقة .

جولد تسيهر : Goldizher مجري ، عرف بعدائه للاسلام
وبخطورة كتاباته عنه ، ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية » .

كتب عن القرآن والحديث، ومن كتبه « تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي » المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق .

جون ماينارد: Maynard أمريكي متعصب، كان يساهم في تحرير « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » الأمريكية ، وخاصة باب الكتب الجديدة التي لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم . (أنظر - مثلاً ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢ ، من المجلد ٨ ، ابريل سنة ١٩٢٤ من المجلة المذكورة) .

س.م. زويمر : S. M. Zweimer مستشرق مبشر ، اشتهر بعداؤه الشديد للإسلام ، مؤسس مجلة « العالم الاسلامي » الأمريكية التبشيرية . مؤلف كتاب « الاسلام تحد لعقيدة » صدر في سنة ١٩٠٨ ، وناشر كتاب « الاسلام » وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٩١١ بلكنهؤ في الهند . وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين .

عزيز عطية سوريال : مصري مسيحي ، كان أستاذاً بجامعة الاسكندرية والآن يدرس باحدى جامعات امريكا ، شديد الحقد على الاسلام والمسلمين وكثير التحريف للتعالم الاسلامية . يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية .

غ. فون جرونباوم : G. Von Grunbaum من أصل الماني

يهودي مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعة لها وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو ، من ألد أعداء الاسلام . في جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الاسلامية والمسلمين ، كثير الكتابة وله معجبون من المستشرقين . ومن كتبه :

١ - « اسلام العصور الوسطى » صدر في عام ١٩٤٦ .

٢ - « الاعياد المحمدية » صدر في عام ١٩٥١ .

٣ - « محاولات في شرح الاسلام المعاصر » صدر في

عام ١٩٤٧ .

٤ - « دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية » صدر في

عام ١٩٥٤ .

٥ - « الاسلام » مجموعة من المقالات المتفرقة ، صدر في

عام ١٩٥٧ .

٦ - « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية » ، صدر

في عام ١٩٥٥ .

فيليب حتي : Ph. Hitti لبناني مسيحي تأمرك ، كان أستاذاً

بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيساً لهذا

القسم ، وهو الآن بالمعاش . من ألد أعداء الاسلام ، ويتظاهر

بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا ، وهو مستشار غير رسمي

لوزارة الخارجية الامريكية في شئون الشرق الاوسط ، يحاول

دائماً أن يذتقص دور الاسلام في بناء الثقافة الانسانية ويكره أن ينسب للمسلمين أي فضل ، فقد كتب - على سبيل المثال - في « دائرة المعارف الامريكية » طبع سنة ١٩٤٨ تحت عنوان « الأدب العربي » ص ١٢٩ يقول : « ولم تبدأ أمارات الحياة الادبية الجديدة بالظهور إلا في القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الامريكيين . » ومحاولات « حتي » انتقاص فضل الاسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الاسلامي كما هو موضح في كتبه التي نذكر منها :

١ - « تاريخ العرب » ظهر بالانجليزية ، وأعيد طبعه عدة مرات ، وهو مليء بالطعن في الاسلام والسخرية من نبيه ، وكله حقده وسم وكراهية . أنظر مثلاً مجلة « الاسلام » الانجليزية Al - Islam التي تصدر في كراتشي - باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريل سنة ١٩٥٨ ، ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨ .

٢ - « تاريخ سوريا » .

٣ - « أصل الدروز وديانتهم » ، صدر في سنة ١٩٢٨ .

أ.ج فينسينك : A.J.Wensink عدو لدود للاسلام ونبيه ،

كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطيب حسين الهواري مؤلف كتاب « المستشرقون والاسلام » صدر في سنة ١٩٣٦ ، وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه في القرآن والرسول مدّعياً أن الرسول ألّف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته ، أنظر « المستشرقون والاسلام » ص ٧١ وما بعدها . هذا والمعروف لفينسينك كتاب تحت عنوان « عقيدة الاسلام » صدر في سنة ١٩٣٢ .

كينيت كراج : K. Cragg أمريكي شديد التعصب ضد الاسلام . قام بالتدريس في الجامعة الامريكية بالقاهرة لفترة من الوقت والآن رئيس تحرير مجلة «العالم الاسلامي » الامريكية التبشيرية ورئيس قسم اللاهوت المسيحي في هارتفورد «ومتعهد» مبشرين . ومن كتبه « دعوة المثلثة » ، صدر في عام ١٩٥٦ .

لوي ماسينيون : L. Massignon أكبر مستشرفي فرنسا المعاصرين ، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية في شئون شمال افريقيا ، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر . زار العالم الاسلامي أكثر من مرة وخدم بالجيش الفرنسي خمس سنوات في الحرب العالمية الاولى ، كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق ، متخصص في الفلسفة والتصوف الاسلامي ، ومن كتبه :

« الحلاج الصوفي الشهيد في الاسلام » ، صدر في سنة ١٩٢٢ .
وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف ، وهو من كبار
محرري « دائرة المعارف الاسلامية » .

د. ب. ماكدونالد : D. B. Macdonald أمريكي من أشد
المتعصبين ضد الاسلام والمسلمين ، يصدر في كتاباته عن روح
تبشيرية متأصلة . من كبار محرري « دائرة المعارف الاسلامية »
ومن كتبه :

١ - « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في
الاسلام » صدر في سنة ١٩٠٣ .

٢ - « الموقف الديني والحياة في الاسلام » ، صدر في سنة
١٩٠٨ .

مايلز جرين : M. Green سكرتير تحرير مجلة « الشرق
الاطوسط » .

مجيد قدوري : مسيحي عراقي . رئيس قسم دراسات الشرق
الاطوسط بجامعة جون هوبكنز في واشنطن ، ومدير معهد
الشرق الاوسط للأبحاث والتربية بواشنطن ، متعصب حقود على
الاسلام وأبنائه . ومن كتبه المشحونة بالطعون والاختباء
« الحرب والسلام في الاسلام » ، صدر في سنة ١٩٥٥ ، وله مقالات
أخرى .

د. س . مرجوليوث : D. S. Margoliouth انجليزي

متعصب ضد الاسلام ومن محرري « دائرة المعارف الاسلامية » ،
كان عضواً بالمجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي في دمشق . ومن
كتبه :

- ١ - « التطورات المبكرة في الاسلام » صدر في سنة ١٩١٣ .
- ٢ - « محمد ومطلع الاسلام » ، صدر في سنة ١٩٠٥ .
- ٣ - « الجامعة الاسلامية » ، صدر في سنة ١٩١٢ .

ر . ا . نيكولسون : R. A. Nickolson كان من أكبر
مستشركي انجلترا المعاصرين ومن محرري « دائرة المعارف » .
تخصص في التصوف الاسلامي والفلسفة وكان عضواً بالمجمع اللغوي
المصري . وهو من المنكرين على الاسلام أنه دين روهي ويصفه
بالمادية وعدم السمو الانساني . ومن كتبه :

- ١ - « متصوفو الاسلام » صدر في سنة ١٩١٠ .
- ٢ - « التاريخ الادبي للعرب » ، صدر في سنة ١٩٣٠ .

هارفلي هول : رئيس تحرير « مجلة الشرق الاوسط »
الامريكية . وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات
المعنية بشؤون الشرق الاوسط السياسية والثقافية في العصر
الحديث .

هنري لامنس اليسوعي : H. Lammens فرنسي ١٨٧٢ -
١٩٣٧ من محرري دائرة المعارف الاسلامية ، شديد التعصب ضد
الاسلام والحقد عليه ، مفرط في عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت

بعض المستشرقين أنفسهم (أنظر ص ١٥ - ١٦ من ١ ، من المجلد
٩ يناير سنة ١٩٢٥ من «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» الأمريكية .
ومن كتبه بالفرنسية :

١ - «الاسلام» .

٢ - «الطائف» .

يوسف شاخت : J. Schacht ألماني متعصب ضد الاسلام
والمسلمين ، له كتب كثيرة عن الفقه الاسلامي وأصوله . من محري
« دائرة المعارف الاسلامية » ودائرة معارف العلوم الاجتماعية .
وأشهر كتبه : « أصول الفقه الاسلامي » .

بعض الكتب الخطيرة التي لها
مكانة عامة عند بعض الناس :

موضوعات :

١ - « دائرة المعارف الاسلامية » :

The Encyclopaedia of Islam صدر بعدة لغات حية
يعاد طبعتها في الوقت الحاضر ، وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة
الجديدة .

٢ - « موجز دائرة المعارف الاسلامية »

Shorter Encyclopaedia of Islam

٣ - « دائرة معارف الدين والاخلاق »

Encyclopaedia of Religion And Ethics

(المقالات المتعلقة بموضوعات اسلامية) :
٤ - « دائرة معارف العلوم الاجتماعية »

Encyclopaedia of Social Sciences

(الموضوعات المتصلة بالاسلام والعرب) .

٥ - « دراسة في التاريخ »

(القسم المتصل بالاسلام ورسوله) من تأليف ارنولد توينبي :

A. Toynbee

الكتب :

١ - « حياة محمد »

من تأليف سير وليام موير : W. Muir

٢ - « الاسلام »

من تأليف ألفرد جيوم : A. Geom

٣ - « دين الشيعة »

من تأليف د. م. دونالدسون : D. M. Donaldson

٤ - « تاريخ شارل الكبير »

من تأليف القس تيرين : Bishop Turpin

٥ - « الاسلام »

ظهر بالفرنسية من تأليف هنري لامنس : H. Lammens

٦ - « الاسلام » (تحد لعقيدة)

ظهر بالانجليزية من تأليف المبشر زويمر S. M. Zweimer

- ٧ - « دعوة المثذنة »
 ظهر بالانجليزية من تأليف كينيت كراج : K. Cragg
- ٨ - « الاسلام اليوم »
 بالانجليزية من تأليف ا. ج. آبري : A. J. Aberry
- ٩ - « ترجمة القرآن »
 الترجمة الانجليزية من وضع ا. ج. آبري .
- ١٠ - « تاريخ مذاهب التفسير الاسلامي »
 ظهر بالالمانية وترجم إلى العربية ، من تأليف جولد تسيهر :
 . Gold Zihher
- ١١ - « تاريخ العرب »
 ظهر بالانجليزية والعربية وطبع عدة طبعات ، من تأليف
 فيليب حتي .
- ١٢ - « اليهودية في الاسلام »
 ظهر بالانجليزية من تأليف ابراهام كاش .
- ١٣ - « عقيدة الاسلام »
 ظهر بالانجليزية من تأليف ا. ج. فينسينك : Wensink
- ١٤ - « الحلاج الصوفي الشهيد في الاسلام »
 ظهر بالفرنسية من تأليف لوي ماسينيون : L. Massignon
- ١٥ - « الحرب والسلام في الاسلام »
 ظهر بالانجليزية من تأليف مجيد قدوري .

١٦ - « تطور علم الكلام والفقہ والنظرية الدستورية في الاسلام » .

ظهر بالانجليزية من تأليف د. ب. ماكدونالد :
D. B. Macdonald

١٧ - « الاتجاهات الحديثة في الاسلام »
ظهر بالانجليزية وترجم إلى العربية ، من تأليف ه. ا. ر.
جب Gibb .

١٨ - « طريق الاسلام »
ظهر بالانجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من
المستشرقين . اشترك في تأليفه ونشره ه. ا. ر. جب : Gibb

١٩ - « التصوف في الاسلام »
ظهر بالانجليزية وترجم إلى العربية من تأليف ر. ا.
نيكلسون Nicholson .

٢٠ - « مصادر تاريخ القرآن »
بالانجليزية من تأليف آرثر جيفري : Arthur Jeffry

٢١ - « أصول الاسلام في بيئته المسيحية »
بالانجليزية من تأليف ر. بل : R. Bell

٢٢ - « مقدمة القرآن »
بالانجليزية من تأليف ر. بل .

٢٣ - « التطورات المبكرة في الاسلام »

بالانجليزية من تأليف د. س. مرجوليوث:

D. S. Margoliouth

٢٤ - « محمد ومطلع الاسلام »

بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٥ - « الاسلام »

بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٦ - « الجامعة الاسلامية »

بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٢٧ - « قنطرة إلى الاسلام »

ظهر بالانجليزية من تأليف أريك بيتمان .

٢٨ - « إسلام العصور الوسطى »

ظهر بالانجليزية من تأليف ج. فون . جرونباوم:

G. Von Grunebaun

٢٩ - « الاسلام »

مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالانجليزية للمؤلف السابق .

٣٠ - « الاعياد المحمدية »

بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣١ - « الوحدة والتنوع في الحضارة الاسلامية »

بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣٢ - « دراسات في تاريخ الثقافة الاسلامية »

بالانجليزية ولنفس المؤلف .

٣٣ - « محاولات ... في شرح الاسلام المعاصر »
مجموعة مقالات ظهرت بالانجليزية لنفس المؤلف .

موازين البحث عند المستشرقين :

يعتمد جمهرة المستشرقين في تحرير أبحاثهم عن الشريعة
الاسلامية على ميزان غريب بالغ الغرابة في ميدان البحث العلمي ،
فمن المعروف أن العالم المخلص يتجرد عن كل هوى وميل شخصي
فيما يريد البحث عنه ويتابع النصوص والمراجع الموثوق بها ،
فما أدت اليه بعد المقارنة والتمحيص كان هو النتيجة المحتمة التي
ينبغي عليه اعتقادها .

ولكن أغلب هؤلاء المستشرقين يضعون في أذهانهم - كما
قلت من قبل - فكرة معينة يريدون تصيد الأدلة لإثباتها ،
وحين يبحثون عن هذه الأدلة لا تهتمهم صحتها بمقدار ما يهمهم
امكان الاستفادة منها لدعم آرائهم الشخصية ، وكثيراً ما
يستنبطون الامر الكلي من حادثة جزئية ، ومن هنا يقعون في
مفارقات عجيبة لولا الهوى والغرض لربأوا بأنفسهم عنها ،
وسنضرب لذلك بعض الامثلة :

١ - في محاولة المستشرق جولد تسيهر لإثبات زعمه بأن
الحديث في مجموعه من صنع القرون الثلاثة الاولى للهجرة وليس
من قول الرسول ﷺ ادعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة
لجمهور المسلمين في الصدر الاول من الاسلام ، وأن الجهل بها

وبتاريخ الرسول ﷺ كان لاحقاً بكبار الأئمة ، وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهاففة ، من ذلك ما نقله عن كتاب الحيوان للدميري من أن أبا حنيفة رحمه الله لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أحد أم كانت أحد قبلها !..

ولا شك في أن أقل الناس اطلاعاً على التاريخ يرد مثل هذه الرواية ، فأبو حنيفة وهو من أشهر أئمة الاسلام الذين تحدثوا عن أحكام الحرب في الاسلام حديثاً مستفيضاً في فقهه الذي أثر عنه وفي كتب تلامذته الذين نشروا علمه كأبي يوسف ومحمد ، يستحيل على العقل أن يصدق بأنه كان جاهلاً بوقائع سيرة الرسول ومغازيه وهي التي استمد منها فقهه في أحكام الحرب ، وحسبنا أن نذكر هنا كتابين في فقهه في هذا الموضوع يعتبران من أهم الكتب المؤلفة في التشريع الدولي ، في الاسلام .

اولهما - كتاب الرد على سير^(١) الاوزاعي لأبي يوسف رحمه الله .

ثانيهما - كتاب السير الكبير لمحمد رحمه الله ، وقد شرحه السرخسي ، وهو من أقدم وأهم مراجع الفقه الاسلامي في العلاقات الدولية ، وقد طبع أخيراً تحت إشراف جامعة

١ - اصطلح الفقهاء على تسمية مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم بالسير جمع سيرة .

الدول العربية برغبة من جمعية محمد بن الحسن الشيباني للحقوق
الدولية .

وفي هذين الكتابين يتضح إمام تلامذة الإمام وهم حاملو علمه
بتاريخ المعارك الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه
الراشدين .

وجولد تسيهر لا يخفى عليه أمر هذين الكتابين، وكان بإمكانه
لو أراد الحق أن يعرف ما إذا كان أبو حنيفة جاهلاً بالسيرة أو
عالماً بها من غير أن يلجأ إلى رواية « الدميري » في « الحيوان »
وهو ليس مؤرخاً وكتابه ليس كتاب فقه ولا تاريخ ، وإنما
يحشر فيه كل ما يرى إرادته من حكايات ونوادير تتصل بموضوع
كتابه من غير أن يعنى نفسه البحث عن صحتها ، ولا يخفى ما
كان بين أبي حنيفة ومعاصريه ومقلديهم من بعدهم من عدا
منهجي فكري ، وقد كان هذا العدا مادة دسمة لرواة الأخبار
ومؤلفي كتب الحكايات والنوادير لنسبة حوادث وحكايات منها
ما يرفع من شأن أبي حنيفة، ومنها ما يضع من سمعته . وأكثرها
ملفق موضوع للمسامرة والتندر من قبل محبيه أو كارهيه على
السواء ، مما يجعلها عديمة القيمة العلمية في نظر العلماء والباحثين .

فجولد تسيهر أعرض عن كل ما دُوِّن من تاريخ أبي حنيفة
تدويناً علمياً ثابتاً ، واعتمد رواية مكذوبة لا يتالك طالب العلم
المبتدئ في الدراسة من الضحك لسماها ليدعم بذلك ما تخيله
من أن السنة النبوية من صنع المسلمين في القرون الثلاثة الأولى .

٢ - ومثال آخر عن هذا المستشرق أيضاً ، فقد أعرض عما أجمعت عليه كتب الجرح والتعديل وكتب التاريخ من صدق الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري رحمه الله (٥٠ - ١٢٤ هـ) وورعه وأمانته ودينه وزعم ان الزهري لم يكن كذلك بل كان يضع الحديث للأمويين ، وهو الذي وضع حديث « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد الخ .. » لعبد الملك بن مروان ، وكل حجته أن هذا الحديث من رواية الزهري ، وأن الزهري كان معاصراً لعبد الملك بن مروان !.. وقد ناقشت هذا الزعم مناقشة مفصلة في كتابي « السنّة ومكانتها في التشريع الاسلامي » ص ٣٨٥ وما بعدها .

٣ - يحاول المستشرقون أن يؤكدوا تعالي العرب الفاتحين عن المسلمين الأعاجم وانتقاصهم من مكانتهم ، وفي ذلك يقول المستشرق « برو كلمان » في كتابه « تاريخ الشعوب الاسلامية » :
« واذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية أي القطيع !. وجمعها رعايا كما يدعوهم تشبيه سامي قديم كان مألوفاً حتى عند الآشوريين » .

فهذا المستشرق قد أعرض عن جميع الوثائق التاريخية التي تؤكد عدالة الفاتحين المسلمين ومعاملتهم أفراد الشعب على السواء من غير تفرقة بين عربي وغيره ، وتعلق بلفظ « الرعية » تعلقاً لغوياً واستنتج منها أن المسلمين نظروا الى الأعاجم نظر القطيع من الغنم ، ولو رجعنا إلى مادة « رعى » في قواميس اللغة وجدناها

تقول كما في القاموس المحيط : والراعي كل ولي أمر قوم ، والقوم رعية ، وراعيته : لاحظته محسناً اليه ، وراعيته أمره : حفظته ، كرعاه .

فالراعي في اللغة يطلق على راعي الغنم وعلى رئيس القوم وولي أمرهم ، والرعية تطلق على الماشية وتطلق على القوم ، ومن معاني الرعاية : الحفظ والإحسان .

فلما أطلقها الاسلام على القوم لم يخص بها الأعاجم ليشير إلى أنه يراهم كالتطبيع من الغنم ، وإنما أطلقها على الشعب عامة ، والأحاديث في ذلك كثيرة معروفة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره : « ألا كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » . قال الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١٣ / ٩٦) في شرح هذا الحديث « والراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما أوتمن على حفظه فهو مطلوب بالعدل فيه والقيام بمصالحه » .

وقد جاء في حديث آخر اطلاق الرعية على المسلمين في الحديث الذي رواه البخاري وغيره « ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » .

فكيف أغمض برو كلمان عينيه عن هذا كله واستجاز لعله
أن يدعي بأن المسلمين نظروا إلى الأعاجم نظرة القطيع وأنهم
أطلقوا عليهم وخدم لفظ « الرعية » ؟ ليس له سند إلا أن
لفظ الرعية يطلق على الغنم أيضاً ، وقد علمت معانيها اللغوية ،
أما تخصيص إطلاقها بالأعاجم فليس له سند ولا شبهة يتعلق
بها ، وإنما هو الهوى والغرض .

٤ - زعم المستشرق « مايور » كما نقله عنه « مرجليوث » أن
أهل البدو كانوا كثيري الاهتمام بتعلم البلاغة وطلاقة اللسان فلا
يبعد أن النبي (عليه الصلاة والسلام) مارس هذا الفن حتى
نبغ فيه .

وهذا يعطينا صورة عن موازين البحث عند هؤلاء ، فالمسألة
عنده تقوم على استنتاج وهمي من أمر لم يقع ، فلا العرب كانوا
يتعلمون البلاغة ، ولا كانت لها مدارس وأساتذة يضعون
قواعدها ، ولا النبي ﷺ عرف عنه قبل النبوة فعل ذلك ،
وليس بين أيدينا نص واحد يثبت به بل ان المؤكد ان الرسول لم
ينقل عنه أثر من نثر أو شعر قبل النبوة وقبل أن يتنزل عليه
القرآن الكريم .

وأمر آخر يكشف لنا عن أساس ثالث من أسس النقد
والبحث عند هؤلاء المستشرقين هو إفراطهم في اختراع العليل
والاسباب والحوادث التي يدرسونها اختراعاً ليس له سند إلا
التخيل والتحكم ، ويزيد في فساد أسلوبهم هذا انهم يتخيلون

أحداث الشرق والعرب وعاداتهم وأخلاقهم بأوهامهم وخيالاتهم الغربية عن الشرق والعرب والمسلمين ، ولا يريدون أن يعترفوا بأن لكل بيئة مقاييسها وأذواقها وعاداتها .

وقد أحسن المستشرق الفرنسي المسلم « ناصر الدين دينيه » في حديثه عن أسلوب المستشرقين وموازينهم في الحكم على الأشياء مما جعلهم يتناقضون فيما بينهم تناقضاً واضحاً في الحكم على شيء واحد ، كل ذلك لأنهم حاولوا أن يملأوا السيرة المحمدية وتاريخ ظهور الاسلام بحسب العقلية الأوروبية فضلواً بذلك ضللاً بعيداً لأن هذا غير هذا ، ولأن المنطق الاوربي لا يمكن أن يأتي بنتائج صحيحة في تاريخ الأنبياء الشرقيين .

ثم قال إن هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبي بهذا الأسلوب الاوربي البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصون بزعمهم ، حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم ، وكان ينبغي لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة والروايات المشهورة من السيرة النبوية ، فهل تسنى لهم شيء من ذلك ؟ .

الجواب ، أنهم لم يتمكنوا من إثبات أقل شيء جديد ، بل إذا أمعنا النظر في الآراء الجديدة التي أتى بها هؤلاء المستشرقون ، من فرنسيين وإنجليز وألمان وبلجيكيين وهولانديين الخ لا نجد إلا خلطاً وخبطاً ، وإنك لترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه

غيره من هؤلاء المدققين بزعمهم أو ينقض ما قرره .

ثم أخذ « دينيه » يورد الأمثال على هذه المتناقضات وختم كلامه بقوله :

وإن أردنا استقصاء هذه التناقضات التي نجدتها بين تمحيصات هؤلاء المحصنين بزعمهم يطول بها الأمر ، ولا نقدر أن نعرف أية حقيقة ، ولا يبقى أمامنا إلا أن نرجع إلى السير النبوية التي كتبها العرب ، فأما المؤلفون الذين زعموا أنهم يريدون ترجمة محمد بصورة علمية شديدة التدقيق فلم يتفقوا منها ولو على نقطة مهمة ، وبرغم جميع ما نقبوه ونقروه ، وحاولوا كشفه بزعمهم ، فلم يصلوا ولن يصلوا إلا إلى تمثيل أشخاص في تلك السيرة ليسوا أعرق في الحقيقة الواقعية من أبطال أقاصيص فالتر سكوت واسكندر دوماس ، فهؤلاء القصاص تخيلوا أشخاصاً من أبناء جنسهم يقدرون أن يفهموهم ، ولم يلحظوا إلا اختلاف الأدوار بينهم ، أما أولئك المستشرقون فنسوا أنه كان عليهم قبل كل شيء أن يسدوا الهوة السحيقة التي تفصل بين عقليتهم الغربية والأشخاص الشرقيين الذين يترجمونهم ، وانهم بدون هذه الملاحظة جديرون بأن يقعوا في الوهم في كل نقطة (١) .

١ - من كتابه الذي ألفه في الرد على الأب لامنس اليسوعي بعنوان : « انك في واد وانا في واد » نقلاً عن مقدمة حاضر العالم الاسلامي للأمير شكيب أرسلان : ٣٣/١ .

مع المستشرقين وجهاً لوجه في أوروبا :

لقد كنت كتبت عن المستشرقين كلمة موجزة في كتابي «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» ، قبل أن أزور أكثر جامعات أوروبا عام ١٩٥٦ وأختلط بهم وأتحدث إليهم وأناقشهم . فلما تم لي ذلك ازددت إيماناً بما كتبتة عنهم واقتناعاً بخطورهم على تراثنا الاسلامي كله سواء كان تشريعياً أم حضارياً ، لما يلا نفوسهم من تعصب ضد الاسلام والعرب والمسلمين .

كان أول من اجتمعت بهم هو البروفسور « أندرسون » رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الاسلامي - في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن - وهو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كمبردج ، وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية - كما حدثني هو بذلك عن نفسه - تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية التي كان يلقبها بعض علماء الأزهر في الجامعة الاميركية في القاهرة ساعة في كل أسبوع لمدة سنة واحدة . كما تعلم العامية المصرية من اختلاطه بالشعب المصري حين توليه عمله العسكري الآنف الذكر ، وتخصص في دراسة الاسلام من المحاضرات العامة التي كان يلقبها المرحوم « أحمد أمين » والدكتور « طه حسين » والمرحوم الشيخ « أحمد ابراهيم » . ثم انتقل من الخدمة العسكرية بعد الحرب الى رئاسة قسم قوانين الأحوال الشخصية في جامعة « لندن » كما ذكرنا ! .

لا أريد أن أذكر أمثلة عن تعصبه ضد الاسلام - وقد
حدثني كثيراً عن ذلك المرحوم الدكتور «حمود غرابة» مدير
المركز الثقافي الاسلامي في لندن حينذاك - ولكني أكتفي بأن
أذكر ما حدثني به البروفسور «أندرسون» نفسه من أنه أسقط
أحد المتخرجين من الأزهر الذين أرادوا نوال شهادة الدكتوراه
في التشريع الاسلامي من جامعة لندن لسبب واحد هو أنه قدم
أطروحته عن حقوق المرأة في الاسلام وقد برهن فيها على أن
الاسلام أعطى المرأة حقوقها الكاملة ، فعجبت من ذلك وسألت
هذا المستشرق: وكيف أسقطته ومنعته من نوال الدكتوراه لهذا
السبب وأنتم تدعون حرية الفكر في جامعاتكم؟ قال: لأنه كان
يقول: الاسلام يمنح المرأة كذا ، والاسلام قرر للمرأة كذا ،
فهل هو ناطق رسمي باسم الاسلام؟ هل هو أبو حنيفة أو الشافعي
حتى يقول هذا الكلام ويتكلم باسم الاسلام؟ إن آراءه في حقوق
المرأة لم ينص عليها فقهاء الاسلام الأقدمون ، فهذا رجل مغرور
بنفسه حين ادعى أنه يفهم الاسلام أكثر مما فهمه أبو حنيفة
والشافعي .

هذا هو كلام هذا المستشرق الذي لا يزال حياً يرزق ، ولا
أدري إن كان لا يزال في عمله في جامعة لندن أم أحيل إلى
التقاعد (المعاش) .

وزرت جامعة أدنبره « اسكتلنده » فكان المستشرق الذي
يرأس الدراسات الاسلامية فيها قسيساً بلباس مدني وقد وضع

لقبه الديني مع اسمه على باب بيته .

وفي جامعة « جلاسكو » (اسكتلنده أيضاً) كان رئيس الدراسات العربية فيها قسيساً عاش رئيساً للرسالية التبشيرية في القدس قرابة عشرين سنة حتى أصبح يتكلم العربية كأهلها . وقد حدثني بذلك عن نفسه في هذه الزيارة ، و كنت قد اجتمعت به قبل ذلك في المؤتمر الاسلامي المسيحي الذي انعقد في « بجمدون » (لبنان) عام ١٩٥٤ .

وفي جامعة أكسفورد وجدنا رئيس قسم الدراسات الاسلامية والعربية فيها يهودياً يتمكلم العربية ببطء وصعوبة ، وكان أيضاً يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية وهناك تعلم العربية العامية ، ثم عاد إلى بلاده إنجلترا ليرأس هذا القسم في جامعة أكسفورد . ومن عجيب أني رأيت في منهاج دراساته التي يلقيها على طلاب الاستشراق : تفسير آيات من القرآن الكريم من الكشاف للزمخشري - وهو لا يحسن فهم عبارة بسيطة في جريدة عادية - ودراسة أحاديث من البخاري ومسلم ، وأبواب من الفقه في أمهات كتب الحنفية والحنابلة ، وسألته عن مراجع هذه الدراسات ، فأخبرني أنها من كتب المستشرقين أمثال : جولدتسيهر ، ومرجليوث ، وشاخت ، وحسبك هؤلاء عنواناً على الدراسات المدخولة المدسوسة الموجهة ضد الاسلام والمسلمين .

أما في جامعة كمبردج فكانت رئاسة قسم الدراسات

العربية والاسلامية فيها المستشرق المعروف «آربري»
واختصاصه في اللغة العربية فحسب . وقد ورد اسمه آنفاً .

وقد قال لي - خلال أحاديثي معه - : بأننا - نحن المستشرقين
- نقع في أخطاء كثيرة في بحوثنا عن الاسلام ، ومن الواجب
أن لا نخوض في هذا الميدان لأنكم - أنتم المسلمين العرب - أقدر
منا على الخوض في هذه الأبحاث ، وربما قال هذا مجاملة أو
اعتقاداً منه بصحته .

وفي مانشستر (انكلترا) اجتمعت بالبروفسور «روبسون»
وكان يقابل سنن أبي داود على نسخة مخطوطة ، وله كتابات في
تاريخ الحديث ، يتفق فيها غالباً مع آراء المستشرقين المتحاملين ،
وقد حرصت على أن أبين له أن الدراسات الاستشراقية السابقة
فيها تحامل وبعد عن الحقيقة ، وتعرضت لآراء جولد تسيهر
وأثبت له أخطاءه التاريخية والعلمية ، فكان مما أجاب به عنه :
« لا شك ان المستشرقين في هذا العصر أكثر إطلاعاً على المصادر
الاسلامية من جولد تسيهر نظراً لما طبع ونشر وعرف من
مؤلفات اسلامية كانت غير معلومة في عصر جولد تسيهر ،
فقلت له : أرجو أن تكون أبحاثكم - المستشرقين في هذا
العصر أقرب الى الحق والانصاف من جولد تسيهر ، ومرجليوث ،
وأمثالها . فقال : أرجو ذلك . »

وفي جامعة «ليدن» هولندا اجتمعت بالمستشرق الألماني
اليهودي «شاخت» وهو الذي يحمل في عصرنا هذا رسالة

« جولد تسيهر » في الدس على الاسلام والكييد له وتشويه حقائقه ، وباحثته طويلاً في أخطاء « جولد تسيهر » وتعمده تحريف النصوص التي ينقلها عن كتبنا ، فأذكر ذلك اول الأمر ، فضربت له مثلاً واحداً مما كتبه جولد تسيهر في تاريخ « السنة » ، فاستغرب ذلك ، ثم راجع كتاب جولد تسيهر - وكنا نجلس في مكتبته الخاصة - فقال : معك الحق ان جولد تسيهر أخطأ هنا ، قلت له : هل هو مجرد خطأ ؟ فاحتد وقال : لماذا تسيئون به الظن ؟ فانتقلت الى بحث تحليله لموقف الزهري من عبد الملك ابن مروان ، وذكرت له من الحقائق التاريخية ما ينفي ما زعمه جولد تسيهر . وبعد مناقشة في هذا الموضوع قال : وهذا خطأ ايضاً من جولد تسيهر ألا يخطيء العلماء ؟ قلت له : ان جولد تسيهر هو مؤسس المدرسة الاستشراقية التي تبني حكمها في التشريع الاسلامي على وقائع التاريخ نفسه ، فلماذا لم يستعمل مبدأه هنا حين تكلم عن الزهري ؟ وكيف جاز له ان يحكم على الزهري بأنه وضع حديث فضل المسجد الأقصى ارضاء لعبد الملك ضد ابن الزبير ، مع ان الزهري لم يلق عبد الملك إلا بعد سنوات من مقتل ابن الزبير ؟ وهنا اصفر وجه « شاخت » وأخذ يفرك يداً بيد ، وبدا عليه الغيظ والاضطراب ، فأنهيت الحديث معه بأن قلت له : لقد كان مثل هذه « الأخطاء » كما تسميها انت ، تشتهر في القرن الماضي ، ويتناقلها مستشرق منكم عن آخر على انها حقائق علمية ، قبل ان نقرأ - نحن المسلمين - تلك المؤلفات إلا بعد موت مؤلفيها ، أما الآن فأرجو ان تسمعوا

منا ملاحظاتنا على « اخطائكم » لتصحيحها في حياتكم قبل ان تتقرر كحقائق علمية .

ومن الملاحظ ان هذا المستشرق كان يدرس في جامعة القاهرة - فؤاد سابقاً - وله مؤلف في تاريخ التشريع الاسلامي كله دس وتحريف على اسلوب شيخه جولد تسيهر !

وفي جامعة « أبسلا » في السويد التقيت بالشيخ المستشرق « نبرج » وهو الذي كان قد أشرف على تصحيح كتاب « الانتصار لابن الخياط » - على ما اظن - وطبعته قديماً « لجنة التأليف والترجمة في القاهرة » وجرى بيني وبينه حديث طويل كان أكثره حول أبحاث المستشرقين ومؤلفاتهم عن الاسلام وتاريخه ، وجعلت « جولد تسيهر » محور الحديث عن المستشرقين ، وذكرت له أمثلة من أخطائه وتحريفه للحقائق ، فكان مما قاله بعد ذلك : ان جولد تسيهر كان في القرن الماضي ذا شهرة علمية ومرجعاً للمستشرقين ، اما في هذا العصر - بعد انتشار الكتب المطبوعة في بلادكم عن العلوم الاسلامية - فلم يعد جولد تسيهر مرجعاً كما كان في القرن الماضي .. لقد مضى عهد جولد تسيهر في رأينا !..

وقد أتيت لي خلال تلك الرحلة أن أواصل زيارة الجامعات عدا ما ذكرته منها في عواصم كل من (بلجيكا) و (الدانيمرك) و (النرويج) و (فنلندا) و (ألمانيا) و (سويسرا) و (باريس) واجتمعت بمن كان موجوداً فيها حينئذ من المستشرقين .

ومما ذكرته آنفاً وما دونته في مذكراتي عن المستشرقين

الذين لقيتهم خلال تلك الرحلة « اتضح لي الحقائق التالية :

أولاً : ان المستشرقين - في جمهورهم - لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعماريّاً أو يهودياً ، وقد يشذ عن ذلك أفراد .

ثانياً : أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية - كالدول السكندنافية - أضعف منه عند الدول الاستعمارية .

ثالثاً : ان المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن جولد تسيهر وأمثاله المفضوحين في تعصبهم .

رابعاً : ان الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة ، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب ، يلقي منها كل تأييد .

خامساً : ان الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين .

ففي فرنسا لا يزال « بلاشير » و « ماسينيون » وهما شيخا المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين .

وفي إنجلترا رأينا - كما ذكرت - أن الاستشراق له مكان محترم في جامعات لندن وأكسفورد وكمبردج وأدنبره وجلاسكو وغيرها ، ويشرف عليه يهود وانجليز استعماريون ومبشرون ،

وهم يحرصون على أن تظل مؤلفات جولد تسيهر ومرجليوث ثم
شاخت من بعدهما ، هي المراجع الأصلية لطلاب الاستشراق من
الغربيين ، وللراغبين في حمل شهادة الدكتوراه عندهم من العرب
والمسلمين وهم لا يوافقون أبداً على رسالة لطلب الدكتوراه
يكون موضوعها انصاف الاسلام وكشف دسائس أولئك
المستشرقين .

وقد حدثنا الدكتور أمين المصري - وهو خريج كلية
أصول الدين في الأزهر وكلية الآداب ومعهد التربية في جامعة
القاهرة - عما لقيه من عناء في سبيل موضوع رسالته التي أراد
أن يتقدم بها لأخذ شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعات
انجلترا .

لقد ذهب إليها منذ بضع سنوات لدراسة الفلسفة وأخذ
شهادة الدكتوراه بها ، وما كاد يطلع على برامج الدراسة
- وخاصة دراسة العلوم الاسلامية فيها - حتى هاله ما رآه من
تحامل ودس في كتب المستشرقين ، وخاصة « شاخت » فقرر
أن يكون موضوع رسالته هو نقد كتاب شاخت في تاريخ
الفقه الاسلامي .

وتقدم إلى البروفسور « أندرسون » ليكون مشرفاً على
تحضير هذه الرسالة وموافقاً على موضوعها ، فأبى عليه هذا
المستشرق أن يكون موضوع رسالته نقد كتاب « شاخت »
وعبثاً حاول أن يوافق على ذلك ، فلما يش من جامعة لندن ،

ذهب إلى جامعة كامبردج وانتسب إليها وتقدم إلى المشرفين على الدراسات الإسلامية فيها برغبته في أن يكون موضوع رسالته للدكتوراه هو ما ذكرناه ، فلم يبدوا رضاهم عن ذلك ، وظن أن من الممكن موافقتهم أخيراً ، ولكنهم قالوا له بصريح العبارة : إذا أردت أن تنجح في الدكتوراه فتجنب انتقاد شاخت ، فإن الجامعة لن تسمح لك بذلك ، وعندئذ حوّل موضوع رسالته إلى « معايير نقد الحديث عند المحدثين » فوافقوا ، ونجح في نوال الدكتوراه - وهو الآن استاذ في كلية الشريعة بجامعة دمشق .

هذه كلمة موجزة عما تحققت به بنفسي عن المستشرقين ، وخاصة كتب جولد تسيهر وآرائه ، وقد أفردت لمناقشته فصلاً خاصاً في كتابي « السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي . بينت فيه تحامل هذا المستشرق اليهودي ، وتشويبه للحقائق ، وتحريفه للنصوص ، وتأويله للوقائع التاريخية وفق هدفه الذي سعى إليه ، واعتماده على مصادر لا قيمة لها في نظر العلم وتكذيبه للمصادر العلمية المعترف بها عند أئمتنا وعلمائنا المحققين .

أما في أمريكا فالاستشراق فيها الآن يمثل ذروة العداوة للإسلام والمسلمين ، ويشرف على الدراسات الإسلامية في جامعاتها أشد أعداء الإسلام تعصباً وحقداً كما يتضح من أسماء أخطر المستشرقين ومؤلفاتهم التي ذكرناها قبل قليل .

ومن المؤلم أن طلاب العالم الإسلامي الذين يدرسون باللغة

الانجليزية في بلادهم لا يزالون مضطرين إلى دخول الجامعات
الانجليزية والأمريكية ، فلا يجد طلاب الدراسات الإسلامية
أمامهم مراجع لدراساتهم التي ينالون بها الدكتوراه غير تلك
المراجع المسمومة ، وهم لا يعرفون اللغة العربية ، فتتقرر عندهم
أن تلك الدسائس حقائق مأخوذة من كتب الفقهاء والعلماء
المسلمين أنفسهم .

إن هذا مما يدعو جامعاتنا العربية للتفكير في إنشاء أقسام
لفروع شهادة الدكتوراه باللغة الانجليزية . وأعتقد أن ذلك من
شأنه أن يحوّل أنظار كثيرين من طلاب العالم الإسلامي عن
جامعات الغرب إلى بلادنا العربية . فنصون هؤلاء من التأثير
بدسائس المستشرقين المتعصبين الاستعماريين .

خاتمة البحث :

وكلمة أخيرة أقولها عن المستشرقين :
منذ أن انتهت الحروب الصليبية بالفشل من الناحية العسكرية
والسياسية ، لم ينقطع تفكير الغرب في الانتقام من الإسلام
وأهله بطرق أخرى ، فكانت الطريقة الأولى هي دراسة الإسلام
ونقده ، وفي جو هذا التفكير الذي ساد البيئة المسيحية في
الغرب خلال القرون الوسطى نشأت فكرة الاستيلاء على البلاد
الإسلامية عن طريق القوة والغلبة حين بدأ العالم الإسلامي
يتدهور سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً ، وأخذ الغرب
يسطو مرة بعد مرة على بلد بعد بلد في العالم الإسلامي ، وما كاد

ينتهي للغرب استيلاؤه على أكثر أقطار العالم الاسلامي حتى بدأت الدراسات الغربية عن الاسلام وتاريخه تنمو وتتكاثر بقصد تبرير سياستهم الاستعمارية نحو هذه الشعوب، وقد تم لهم في القرن الماضي دراسة التراث الاسلامي من جميع نواحيه الدينية والتاريخية والحضارية، ومن الطبيعي أن تكون الدراسة محجوبة عن إصابة الحق فيها بحاجبين :

الأول: التعصب الديني الذي استمر لدى ساسة أوروبا وقادتها العسكريين حتى إذا دخلت جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى بيت المقدس ، قال اللورد « النبي » كلمته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » أي من الناحية العسكرية . أما التعصب الديني فما يزال أثره باقياً في كثير مما يكتب الغربيون عن الاسلام وحضارته وأكثر ما نجد إنصاف الاسلام ورسوله عند العلماء والأدباء الغربيين الذين تحلوا من سلطنة ديانتهم ، ونضرب لذلك مثلاً بكتاب « حضارة العرب » لمؤلفه « غوستاف لوبون » فإنه أعظم كتاب ألفه الغربيون في إنصاف الاسلام وحضارته .

هذا ، لأن « غوستاف لوبون » فيلسوف مادي لا يؤمن بالأديان قطعاً ، من أجل هذا ومن أجل إنصافه للحضارة الإسلامية ، لا ينظر إليه الغربيون في أوساطهم العلمية نظر التقدير الذي يستحقه علمه .

فهو - بلا شك - من أعظم علماء الاجتماع والتاريخ في

القرن التاسع عشر ومع هذا فقد تحامل عليه الغربيون - وخاصة الفرنسيين - لما ذكرناه .

الثاني : أن القوة المادية والعلمية التي وصل إليها الغربيون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أدخلت في نفوس علماءهم ومؤرخيهم وكتّابهم قدراً كبيراً من الغرور حتى اعتقدوا أن الغربيين أصل جميع الحضارات في التاريخ - ما عدا المصرية - وأن العقلية الغربية هي العقلية الدقيقة التأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً سليماً ، أما غيرهم من الشعوب - وخاصة الإسلامية - فإن عقليتهم بسيطة ساذجة ، أو بالأصح « ذرية » كما عبر بذلك المستشرق « جب » في كتابه (وجهة الاسلام) ويقصد بذلك أن العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها إدراكاً كلياً .

وهم لم يحكموا بذلك إلا على ضوء ما رأوه بأعينهم من ضعف الشعوب التي استعمروها وما سادها من جهل وما شملها من تأخر في كل نواحي الحياة .

فلما بدأ إتصالنا بالحضارة الغربية في أوائل هذا القرن ، وانتشرت الثقافة بيننا ، لم يجد المثقفون - من غير علماء الشريعة - أمامهم طريقاً مهدداً للحديث عن تراثنا المبعثر في كتب قديمة غير منظمة تنظيمياً يتفق وتنظيم الكتب العلمية عند الغربيين ، إلا كتب المستشرقين الذين أفنوا أعمارهم في دراسة ثقافتنا وتلعب مصادرها في خزائن الكتب العامة عندهم ، حتى

ليظل أحدهم عشرين عاماً في تأليف كتاب عن ناحية من نواحي ثقافتنا ، يرجع فيه إلى كل ما وصلت إليه يده من مصادر قديمة من كتب علمائنا الأولين .

وبهذا الدأب المتواصل عند علمائهم ، والتفرغ الكامل له ، والرغبة الاستعمارية والدينية التي ألمحت إليها ، استطاعوا أن ينظموا الحديث عن ثقافتنا تنظيماً بهر أبصار (مثقفيها) واستولى على ألبابهم ، وخاصة عندما قارنوا بين أسلوبهم وبين أسلوب كتبنا العلمية القديمة ، فاندفعوا إلى الاقتباس من كتب المستشرقين معجبين بعلمهم وسعة اطلاعهم ، ظانين أنهم لا يقولون إلا الحق ، وأنهم - فيما خالفوا فيه الحقائق المقررة عندنا - أصح حكماً ، وأصوب رأياً ، لأنهم يسرون وفق منهج علمي دقيق لا يجيدون عنه .

ومن هنا نشأت الثقة ببحوث هؤلاء الغربيين والاعتماد على آرائهم .

ولم يتح لهؤلاء المثقفين ، أن يرجعوا إلى المصادر الإسلامية التي استقى منها المستشرقون وغيرهم من الباحثين الغربيين ، إما لصعوبة الرجوع إلى مصادرنا ، أو للرغبة في سرعة الانتاج العلمي ، أو لشهوة الإتيان بحقائق مخالفة لما هو سائد في أوساطنا العلمية والدينية وغيرها .

وكانت فترة من الزمان طغى علينا هذا الشعور بالنقص والضعف وعدم الثقة بأنفسنا إزاء الباحثين الغربيين ، وإعظامهم

وإكبارهم وعدم سوء الظن بهم ، حتى إذا بدأت حركات الوعي السياسي وبدأ استقلالنا السياسي عن سيطرة الغربيين ، إبتدأ عندنا الشعور بوجوب الاستقلال الفكري ، الشعور بشخصيتنا وقيمة حضارتنا وتراثنا ، الشعور بالحنج لموقفنا السابق من اتكالنا على المستشرقين في معرفة ما عندنا من تراث وعقيدة وتشريع ، وانتشر هذا الوعي في أوساطنا المثقفة من دينية وغيرها ، فبدأنا نكتشف الحقيقة ، حقيقة هؤلاء المستشرقين في أبحاثهم وأهدافهم الدينية والاستعمارية من ورائها .

وما زلنا نسير في هذا الاتجاه الذي لم يستكمل قوته واستقلاله الذاتي بعد ، لأنها سنة الله في الأشياء .

ولكننا واصلون إلى هذه المرحلة بإذن الله ، حتى يأتي يوم يستغرب فيه أبناؤنا وأحفادنا كيف كنا بسطاء مخدوعين بهؤلاء المستشرقين إلى هذا الحد .

سيأتي يوم ننقلب فيه نحن إلى دراسة تراث الغربيين وننقد ما عندهم من دين وعلوم وحضارة ، وسيأتي اليوم الذي يستعمل فيه أبناؤنا وأحفادنا مقاييس النقد التي وضعها هؤلاء الغربيون ، في نقد ما عند هؤلاء الغربيين أنفسهم من عقيدة وعلوم ، فإذا هي أشد تهافتاً ، وأكثر ضعفاً مما يلصقونه اليوم بعقيدتنا وعلومنا .

تُرى لو استعمل المسلمون معايير النقد العلمي التي يستعملها المستشرقون في نقد القرآن والسنة ، في نقد كتبهم المقدسة

وعلومهم الموروثة ، ماذا كان يبقى لهذه الكتب المقدسة والعلوم التاريخية عندهم من قوة ؟ وماذا يكون فيها من « ثبوت » .

تُرى لو استعمل المسلمون في المستقبل معايير النقد العلمي التي يزعم المستشرقون أنهم يأخذون بها عند نقد تاريخنا وأمتنا في نقد تاريخ هذه الحضارة ومقدساتها وفاتحيها ورؤسائها وعلمائها ، ألا يخرجون بنتيجة من الشك وسوء الظن أكبر بكثير مما يخرج به المستشرقون بالنسبة إلى حضارتنا وعظماؤنا؟ ألا تبدر هذه الحضارة مهلهلة رثة الثياب ؟ وألا يبدو رجال هذه الحضارة من علماء وسياسيين وأدباء بصورة باهتة اللون لا أثر فيها لكرامة ولا خلق ولا ضمير ؟ .

كثيراً ما أتمنى أن يتفرغ منا رجال للكتابة عن هذه الحضارة وتاريخ علمائها بنفس الأسلوب الذي يكتب به المستشرقون من تتبع الأخبار الساقطة ، وفهم النصوص على غير حقيقتها ، وقلب المحاسن إلى سيئات ، والتشكيك في كل خير يصدر عن هؤلاء الغربيين ، ولو حصل هذا لخرجت منه صورة لهذه الحضارة ولرجالها مضحكة مخزية ينكرها المستشرقون قبل غيرهم ، أتُرى أحداً ينهض منا لهذا العبء عبء استعمال المقاييس النقدية عند الغربيين بالأسلوب الذي ذكرناه لإعطاء صورة عنهم وعن عقائدهم وعن حضارتهم ليقرأها المستشرقون بأنفسهم ، فيروا كيف عادت هذه الطريقة التي زعموا أنهم يستخدمونها لمعرفة

« الحقيقة » في تاريخنا وديننا ، وبالأعلى عليهم ، لعلمهم يخجلون
- بعدئذ - من استمرارهم في التحريف والتضليل والهدم !

وبعد ، فإني أعتقد أنه قد انقضى ذلك العهد الذي كنا فيه
نعتمد في مصادر معرفتنا بعلمونا وتاريخنا ، على هؤلاء الغربيين ،
مع أنهم ليست لهم مصادر إلا كتبنا ومدوناتنا ، ولئن كنا
بها جاهلين من قبل ، فلقد آن الأوان أن نرفع عن جباهنا خزي
الجهالة بمصادرنا ، وعار الاتكال في فهمها على فهم الغرباء عن
لغتنا ، وصحة الاعتقاد بديننا وعلمائنا ما يريد منا هؤلاء
المستشرقون المتعصبون ان نعتقده في حق ديننا وعلمائنا من شك
وسوء ظن ، ولقد آن الأوان ان نفعل ذلك بما نفضنا عنه الغبار
ونشرناه من كنوزنا العلمية الدفينة وبما ملأ نفوسنا من وعي
كريم وشعور باستقلال الشخصية .

ولئن بقي الآن من يحسن الظن بفهمهم او رأيهم في علومنا ،
فليقرأ - إن شاء مزيداً من التفصيل - ما كتبه عن المستشرقين
ومناقشتي لأرائهم في كتابي « السنة ومكانتها في التشريع
الاسلامي ، وغيره من الكتب التي تكشف عن دسائس هؤلاء
المستشرقين ، فينكشفون على حقيقتهم كما هم في الواقع ، وكما
أرادوا لأنفسهم ان يكونوا .

وإذا كنا نشهد هذه الشدة في حق المحرفين والمضللين أمثال
جولد تسيهر ، فإننا لا نغمط غيرهم من المنصفين حقهم في نشر

نفائس كتبنا القديمة ، ودأبهم في البحث عن الحقيقة ، فليس العلم
محتكراً لأمة دون أمة .

والاسلام ، وهو دين الله للعالم كله ، لا يمكن ان يستأثر
بفهمه قوم دون قوم ، فليفهم منه من شاء ما شاء ، بشرط ان
يتحلى بصفة العلماء ، وهي الانصاف والإخلاص للحق ، والبعد
عن العصبية والهوى .

* * *

فهرس

| | |
|----|--------------------------------------------|
| ٥ | مقدمة |
| ٩ | الاستشراق والمستشرقون |
| ١٥ | تاريخ الاستشراق |
| ١٧ | ميدان الاستشراق |
| ١٧ | دوافع الاستشراق : |
| ١٧ | ١ - الدافع الديني |
| ١٩ | ٢ - الدافع الاستعماري |
| ٢٠ | ٣ - الدافع التجاري |
| ٢٠ | ٤ - الدافع السياسي |
| ٢١ | ٥ - الدافع العلمي |
| | أهداف الاستشراق ووسائله : |
| | أ - هدف علمي مشبوه ، يهدف إلى : |
| ٢٢ | ١ - التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ |
| ٢٣ | ٢ - التشكيك بأن الاسلام دين من عند الله . |
| ٢٣ | ٣ - التشكيك في صحة الحديث النبوي . |
| ٢٤ | ٤ - التشكيك بقيمة الفقه الاسلامي الذاتية . |

٥ - التشكيك بقدرة اللغة العربية على مسايرة

- ٢٥ التطور العلمي
- ٢٥ ب - الأهداف الدينية والسياسية
- ج - أهداف علمية خالصة لا يقصد منها الا البحث
- ٢٦ والتمحيص
- ٢٨ وسائل المستشرقين لتحقيق أهدافهم
- ٣٠ أهم المجلات التي يصدرونها
- ٣٢ أسماء أخطر المستشرقين المعاصرين وأهم كتبهم
- ٤٥ موازين البحث عند المستشرقين
- ٥٣ مع المستشرقين وجهاً لوجه في اوربا
- ٦٢ خاتمة البحث

أضواء على الحركات الهدامة

الانتشار والانتشار

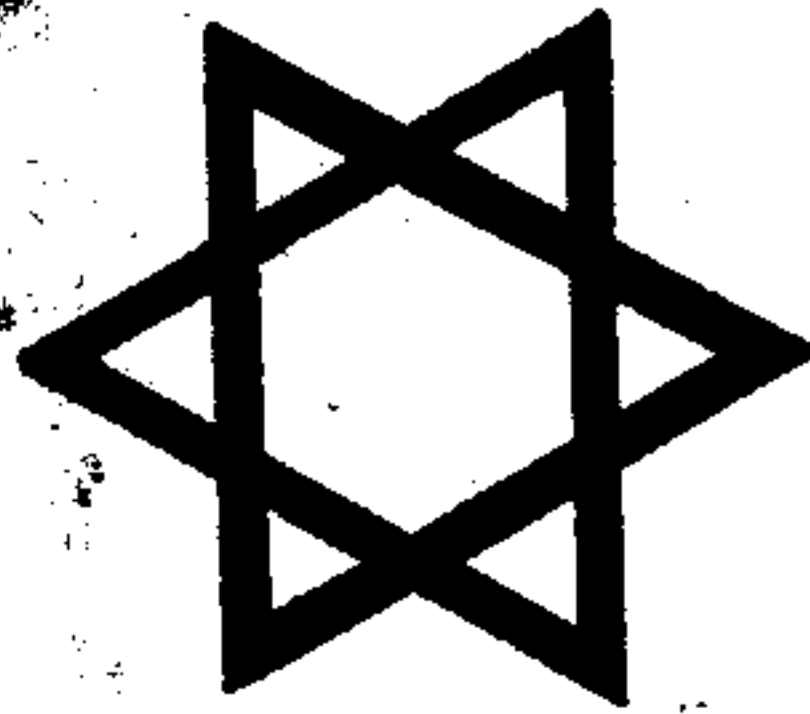
ما لهم وما عليهم

للدكتور مصطفى السباعي

رئيس قسم الفقه الإسلامي بجامعة دمشق



السامية



الصهيونية



الشيوعية

الاستعمار الاباحية الوجودية البوسنة
الاحقاد العلمانية القاديانية